

رسالة في أخلاق المعلم

للشيخ محمد حياة السندي المدني

أخبار القراءات

اعتنى بها: سمير سمراد

(3/169 ط/ الكتب العلمية): «كان من العلماء الربانيين وعظماء المحدثين قرن العلم بالعمل وزان الحسن بالحل»، وقال: «وشدّ حزامه على درس الحديث النبوي وأقنى عمره في خدمة الكلام المصطفي».

وعده في كتابه «الحطة» في جملة المجددين للدين، على رأس القرن الثاني عشر الهجري⁽⁴⁾.

■ مصدر الرسالة:

نشرت هذه الرسالة في أحد المواقع على «الشبكة العنكبوتية»، ولم يذكر ناشرها مصدرها، ويظهر أنه من «تونس»، وقد قام على نشر (بعض) رسائل «الشيخ محمد حياة» التي يجازته، لغرض من الأغراض!.

والرسالة تقع في صفحتين، كل صفحة من: (18) سطراً تقريباً، مكتوبة بالمداد الأسود ونحو من كلمتين بالأحمر، وخطها واضح.

تاريخ نسخها: سنة (1163هـ)، واسم الناسخ: عبد الله ابن محمد، نسخها بالمسجد النبوي.

(4) انظر: «الحطة في ذكر الصحاح الستة» (269 ط/ علي الحلبي).

هذه رسالة من رسائل المحدث الشيخ محمد حياة ابن إبراهيم السندي، نزيل مدينة الرسول ﷺ المتوفى سنة (1163هـ)، وهي نصيحة مختصرة فيما ينبغي أن يكون عليه المعلم والمدرّس.

ومحرّرها عالم كبير من علماء الحديث في زمانه، انتفع به خلق كثير؛ حيث جلس للإقراء والتدريس زماناً بالمدينة خلفاً لشيخه المحقق: أبي الحسن السندي الكبير محمد بن عبد الهادي (ت1138هـ)⁽¹⁾ بعد موته: أربعاً وعشرين سنة⁽²⁾، وأجاز العديد من العلماء بمروراته، كما هي العادة عند المحدثين. ومن أهم خصال الشيخ محمد حياة: الإنصاف والتجرد للحق، وهما من أعظم شواهد الإخلاص، وقد كان رحمه الله حرباً على التقليد والجمود المذهبي الذي ضرب أطنابه في عصره، يميل مع الدليل ويعمل بالحديث متى تبين له، وورث عنه هذا تلاميذه، ومنهم: الشيخ أبو الحسن السندي الصغير؛ محمد ابن صادق (ت1187هـ)، الذي قال عنه الفلاني في «ثبته الكبير»: «كان إماماً عالماً بالسنة وأثارها عاملاً بها مجتهداً لا عصبية فيه، قد يعمل بخلاف مذهبه فيما ظهر له فيه الحق على خلاف مذهب إمامه كشيخه محمد حياة السندي»⁽³⁾.

قال فيه المرادي في «سلك الدرر» (292/2): «العلامة الشهير الإمام».

وقال في ترجمته (34/4): «العلامة المحدث الفهامة حامل لواء السنة بمدينة سيدّ الإنس والجنّة».

وقال صديق حسن خان في ترجمته من «أبجد العلوم»

(1) هو صاحب الحواشي على الكتب الستة، انظر ترجمته في «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» (66/4).

(2) «سلك الدرر» (4/34).

(3) «فهرس الفهارس» للكتّاني (149/1).



■ نصُّ الرِّسَالَةِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القائل: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البقرة: 5]، وأمره أحقُّ بالامتثال، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على رسوله المخبر بأنَّ على النَّبِيِّ مَبْنَى الأَعْمَالِ (5)، وآله وصحبه الَّذِينَ فَازُوا بِالاحْتِسَابِ فِي الأَفْعَالِ.

أما بعد: فاعلم - يا أخي - أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإنْسَانِ أَنْ يَكُونَ تَعَلُّمُهُ العِلْمَ وتعليمه إِيَّاهُ لله تعالى، يريد بهما وجهه تعالى والعمل بمقتضاه، فَإِنَّهُ (6) يَلَا عَمَلٌ وَبِإِلَّهِ عَلَى صَاحِبِهِ.

ويسعى فِي تَعَلُّمٍ مَا يَجْهَلُ مِمَّا يَقْرُبُ إِلَيْهِ تَعَالَى وَمَا يَبْعُدُ عَنْهُ. وتعليمه مَنْ لَا يَعْلَمُهُ.

□ ولإِخْلَاصِ عِلْمَاتٍ، مِنْهَا:

أَنْ لَا يَحْسَدَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ، وَلَا يَحْقِرَ مَنْ دُونَهُ، وَلَا يَفْرَحَ بِكَثْرَةِ تِلْمَازِيهِ وَأَهْلِ دَرَسِهِ وَأَتْبَاعِهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُمْ مُنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ، وَلَا يَغْتَمُّ بِكَثْرَةِ تِلْمَازِيهِ غَيْرَهُ، وَلَا بَجَاهِهِ، وَلَا بِإِظْهَارِ صِبْتِهِ، وَلَا يَنْكُرُ فَضْلَهُ، وَلَا يَنْكُرُ سَمَاعَ مَكَارِمِهِ.

وَلَا يَكْرَهُ ذَهَابَ تِلْمَازِيهِ إِلَى غَيْرِهِ لِطَلْبِ العِلْمِ، بَلْ يَفْرَحُ بِذَلِكَ وَيَحْتَمُّ عَلَى طَلْبِ العِلْمِ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَلَا يَهْجُرُ مِنْهُمْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ التَّعْلِيمَ؛ لِأَنَّ العِلْمَ أَمَانَةٌ لله تَعَالَى عِنْدَ العُلَمَاءِ، وَطَلِبَتُهُ أَهْلُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَآتٍ وَتُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النِّسَاءُ: 58]، وَقَالَ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَيَسَّرَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّحْرِاتِ: 17]، وَالعِبْرَةُ لِعُمُومِ العِلَّةِ لِخُصُوصِ السَّبَبِ.

فَمَنْ طَلَبَ أَمَانَتَهُ مِنْ غَيْرِهِ لَا يَسْتَحِقُّ الهَجْرَ بَلْ يَشْكُرُ، وَلَا يَمْنَعُ عَنْهُ أَمَانَتَهُ إِذَا طَلَبَهَا.

وَطَالِبُ العِلْمِ المَخْلَصُ مُتَقَرِّبٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهِ، وَمَنْ كَرِهَ التَّقَرُّبَ إِلَيْهِ تَعَالَى، أَوْ مَنَعَهُ أَمَانَتَهُ لِأَجَلِهِ - أَيَّ لِأَجَلِ كَرِهِهِ (7)، فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمٍ عَظِيمٍ.

وَلَا يَغْضَبُ وَلَا يَهْجُرُ وَلَا يَمْنَعُ العِلْمَ إِذَا آذَاهُ تَلْمِيذُهُ وَلَوْ (...) (8) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [التَّحْرِاتِ: 128]، وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ [التَّحْرِاتِ: 154]، وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(5) يشير إلى الحديث المروي في «الصَّحِيحِينَ»: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ».

(6) أي: العِلْمِ.

(7) زيادة كُتِبَ فِي الحَاشِيَةِ.

(8) طُمِسَ فِي أَوَّلِ الصَّفْحَةِ الثَّانِيَةِ.

لَمْ يَضْرِبْ أَحَدًا مِنْ نِسَائِهِ وَجَوَارِيهِ وَخَدَمِهِ (9)، وَلَمْ يَقِلْ لِخَادِمِهِ أَنَسَ ﷺ أَفْ قَطُّ (10)، وَلَمْ يَكُنْ كُلُّ أَمْرِهِ كَمَا يَحِبُّ، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْتَقِمْ لِنَفْسِهِ قَطُّ (11)، بَلْ كَانَ يَعْمَلُ أَشَدَّ المُوَازِينِ بِأَحْسَنِ المَلَاطِفَةِ، وَهَكَذَا كَانَ السَّلْفُ الصَّالِحُ وَهَمَّ القَوْمُ الَّذِينَ يَقْتَدِي بِهِمْ.

وَقُلٌّ مِنْ يُرَى مِنْ أَمْثَالِنَا مَوْصُوفًا بِهَذِهِ الأَوْصَافِ، بَلْ عَادَتْنَا الحَسَدُ وَالحَقْدُ وَالعَدَاوَةُ وَالمَنْعُ وَالهَجْرُ، وَالتَّكْلِمُ فِي الأَقْرَانِ وَالتَّفْشُوقُ عَلَيْهِمُ وَالعِزَّةُ عَلَى التَّلَامِذَةِ كغَيْرِ الصَّرَائِرِ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ.

وَيَنْبَغِي لِلعَالِمِ إِذَا سَاقَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ الطَّلِبَةَ أَنْ يَرَى المِنَّةَ لَهُ إِذْ سَاقَ إِلَيْهِ مَنْ يَكُونُ سَبَبًا لِخُلُوصِ ذِمَّتِهِ مِنَ الأَمَانَةِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ تَعَالَى، وَالعِلْمِ فِي العِلْمِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ.

وَيَشْكُرُ الطَّلِبَةَ عَلَى ذَلِكَ إِذْ كَانُوا أَسْبَابَ ثَوَابِهِ فِي مَا بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ (12).

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالأَسْتِصِيَاءِ بِهِمْ خَيْرًا (13).

وَيَعْمَلُهُمْ مَعَامِلَةَ الأَخِ الصَّادِقِ، وَلَا يَرَى نَفْسَهُ أَعْلَى مِنْهُمْ بَلْ يَرَاهَا أَدْنَاهُمْ، وَلَا يَرَى لَهُ مِنَّةً عَلَيْهِمْ بَلْ يَرَى المِنَّةَ لله تَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَا يُرِيدُ مَنَافِعَ الدُّنْيَا لئَلَّا يَصِيرَ مُسْتَبَدَلًا بِالأَعْلَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ [مَنْ عِلْمًا] (14) لَا يَنْفَعُ، وَعِلْمُنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَانْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا.

مؤَلَّفُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ مُحَمَّدٌ حَيَاةُ السُّنْدِيِّ المَدِينِيِّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ.

تَمَّتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فِي المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فِي المَوَاجِهةِ وَالشَّبَكَةِ (15)،

عَلَى يَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ سَنَةَ 1163.

(9) يشير إلى حديث عائشة ؓ، قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله...» الحديث، رواه مسلم (2328).

(10) يشير إلى حديث أنس ؓ قال: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ وَاللَّهُ مَا قَالَ لِي أَقَا قَطُّ وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ لَمْ فَعَلْتُ كَذَا وَهَلَا فَعَلْتُ كَذَا» الحديث، رواه البخاري (5578)، ومسلم - واللفظ له - (2309).

(11) يشير إلى حديث عائشة ؓ، قالت: «مَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تَنَهَكَ حَرَمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» الحديث، رواه البخاري (6288)، ومسلم - واللفظ له - (2327).

(12) هو نصُّ حديث النَّبِيِّ ﷺ رواه أحمد (11280/ط الرِّسَالَةِ)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2021) مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدِ الخَدْرِيِّ ؓ، قَالَ التِّرْمِذِيُّ عَضْبَهُ: «وَفِي البَابِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَالعَمَّانِ بْنِ بَشِيرٍ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، انظر: «الصَّحِيحَةُ» (667).

(13) يشير إلى حديث أبي سعيد الخدري ؓ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبِعٌ وَانَّهُمْ سَيَاتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ يَتَفَقَهُونَ فِي الدِّينِ فَإِذَا جَآؤُكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا» رواه التِّرْمِذِيُّ (2650، 2651)، وَابْنُ مَاجَةَ (249)، وَضَعَفَهُ الشَّيْخُ الألبَانِيُّ فِي: «ضَعِيفُ الجَامِعِ» (1797).

لَكِنْ حَسَنُ الشَّيْخِ الحَدِيثِ بِلَفْظِ: «سَيَاتِيكُمْ أَقْوَامٌ يَطَّلِبُونَ العِلْمَ فَإِذَا رَأَيْتَهُمْ فقولوا لَهُمْ مَرَحِبًا مَرَحِبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبُوهُمْ»؛ قلت - محمد ابن الحارث - للحكم: ما اقْبُوهُمْ؟ قال: عَلِمُوهُمْ. رواه ابن ماجه (247)، انظر: «صحيح سنن ابن ماجه» (203).

(14) زيادة يقتضيهما السِّيَاقُ.

(15) يريد: وَاجِهَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَشَبَاكَةً، ثُمَّ إِذَا أَرَادَ بِذَلِكَ التَّبَرُّكَ فَهَذَا مِنَ البَدْعِ المَحْدَثَةِ